منقذة

رسالة الى "صديق" منشق :

... وملاحظات حول الانشقاق

ان اغرب ما كنت اتوقعه يا صديقي هو ان يكون قد اصبح اصطفافك الان مع مجموعة (الشباب اليساري النزعة المتحمس للانشقاق)، الذي اثر الخروج من صفوف الجبهة واعلان تشكيل منظمة جديدة على النضال داخل صفوفها ، مع ما رافق هذا العمل وكاد ، بل انه كما يبدو قد اصبح علامة مميزة له من سلوك لا يساري بل ويميني في جوهره وعار عن اية صلة اخلاقية بالتقاليد اللينينية الثورية ذلك هو اسلوب – المهاترات – ..

رغم المسافات التي تفصل بيننا وبالرغم من هذا البعد القاسي احس ان من ابسط حقوقي وواجباتي كانسان يشاطرك القناعة والالتزام في قضايا جوهرية ، ان انقل لك دهشتي لكونك قد وافقت وساهمت في توجيه طعنة الى وحدة الجبهة وسمعتها النضالية .. ولشد ما راعني ذلك السيل من التهم اللامسؤولة والمتجردة من حدود الانضباط السلوكي والمبدئي والتي تعكس امرا واحدا هو ان من يمارس هذا النوع من السلوك انما يكشف اوراقه بصراحة.. زيفه.. نفاقه .. فقره الايديولوجي والسياسي .. وطبعا الاخلاقي – اقول لك اني مستعد لسماع ومناقشة كافة التهم الفكرية والايديولوجية للجبهة ، اذا كانت موجودة .. اما ان اناقش تهما رخيصة وغير مبدئية ، فهذا ما ارى ان من حقي ادانته والتصدي له .

تقول مجموعة « الشباب اليساري النزعة » المنشقة ان مؤتمر الجبهة كان تظاهرة يمينية تستهدف تصفية اليسار ، وهذا الادعاء يذكرنا حقا بمن حمل تبلهم راية « اليسار » ولطخها في الوحل او بصورة ادق لطخ « يساريته » بالوحل، حينما تحول رغم كل شعاراته اليسارية والثورية والانتفاضية البراقة .. الخ ، الى مجرد تابع انجر في سياق تهويشاته ومهاتراته ضد الجبهة الى عقد صفقات وحدوية بلا مضمون وبلا برنامج ، ليس الا لمحاربة الجبهة و «عزلها» كما كان يبيح لنفسه ان يتصور .. اذن كما تدعي مجموعة المنشقين ذوي العاطفة اليسارية ان هنالك حدودا فاصلة على كافة المستويات السياسية والايديولوجية وكما يبدو من طرحها ايضا التنظيمية كذلك بينها وبين (الجبهة اليمين) !

حسن ، نحن قرانا بيان الانشقاق واطلعنا على مجموع « مبرراته » ولم نجد من تلك الحدود الفاصلة اي الخلافات الجوهرية التي تستدعي الانشقاق شيئا مما قالوا . خلاف حول « خطط طائرة » وهو كما اتضح «تهمة ملفقة»، واستنزاف ميزانية الجبهة لغرض ذلك.. اتفاق مع ضباط لاقامة انقلاب في الاردن .. والصين انتقدت الجبهة حول خطف الطائرات.. الخ.. ولعمري فانه حسب تصور ومفهوم المنشقين للاختلافات والصراعات المبدئية داخل اي تنظيم ثوري .. فاننا سنكون بحاجة الى خارطة لكي نعرف جذور انحدار المنظمات المنشقة الواحدة عن الاخرى لادنى واتفه الاسباب ، وفي الظروف السرية فلا تحتاج اجهزة القمع ان تعذب مناضلا لتنتزع منه معلومات واسرار، لانه لن تكون هناك اسرار ، اذا كانت الصراعات تنحط على طريقة المنشقين طابع المهاترات وكشف الاسرار تدرعا بمبدأ « الحقيقة كل الحقيقة » ويا خجل الحقيقة من ان تكون ذريعة للمهاترات .

«واليساريون» حينما يقولون يمينا ، وتظاهرة يمينية ، كيساريين يلتزمون بالحقيقة وبالفهم الموضوعي لمفهومي اليسار واليمين ، يجب ان يعنوا ما يقولون . فثمة سؤال مبدئي وبديهي ايضا : بعد خروج اليسار بقي في الجبهة « اليمين » !! ، ترى كيف تهيأ لهذا اليمين ان يخرج من مؤتمره يساريا وان تواصل (الهدف) نهجها التقدمي الثوري دفن توقف المنشقين عن دفع زخمها اليساري بخروجهم من الجبهة ؟

يا صديقي .. ان المجموعة المنشقة وهي تحمل راية اليسار لم تقدم برهانا واحدا على (صدق) يساريتها .. ولا برنامجا عمليا ثوريا متميزا لوحدة قوى اليسار والتقدم الفلسطينية والعربية ، وهي في مجموع ما طرحته لم تطرح اي خلاف استراتيجي وجوهري مع الجبهة .. ونحن نعرف ان النقد والتقييم يتكون من عمليتي تبيين واكتشاف صفات الشيء ومن ثم تقديم البديل ولا يمكننا تصور تقديم البديل دون القاء الضوء على ما هو قائم وتبيين علله ونواقصه ، ولا القاء الضوء على ما هو قائم دون اعطاء البديل فهما عمليتان متماسكتان ولا تقوم الواحدة منهما دون الاخرى .. وانا ارى ان المنشقين اباحوا لانفسهم تصور تقديم البديل دون ان يكتشفوا ويبينوا الاسباب الجوهرية التي دفعتهم لذلك، اي تقييم الوضع القائم وهم باعتقادي ، وحسبما اتضح حتى الان بصورة ملموسة يفتقرون الى مبررات ادانة مطلقة او حتى بصورة نسبية مناسبة تعطي لانشقاقهم شرف العمل الثوري.

ان كل يساري وثوري ، يعرف جيدا الطبيعة التاريخية والظروف الموضوعية التي رافقت تطور فكر وممارسات وسياسات الجبهة بصورة جيدة لا يمكنه الا ان يكون معها في ادانة هذا الانشقاق . فتحول الجبهة من منظمة برجوازية صغيرة – بكل ما تعنيه هذه العبارة – الى تنظيم ثوري يساري لا تتم بين غمضة عين والتفاتة .

وان هذا يستلزم بالضرورة ان يتعرض الاشخاص الذين لا تنسجم طموحاتهم وقناعاتهم وانحداراتهم السياسية والاجتماعية والايديولوجية (من اعلى الى اسفل – في القيادة بشكل اساسي – وعلى مستوى الكوادر والاعضاء) ان يتعرضوا للتساقط .. باشكال عديدة من بينها حتى الانشقاق .

ومن المحتوم انها انشقاقات تتعارض مع عملية التحول اليساري داخل الجبهة .. اي ذات مضمون يميني . وتبقى تتاكد على الدوام الهوية اليسارية للجبهة .. وينتصر النهج اليساري.. وتتساقط تدريجيا وباشكال حاسمة كما ورد كافة العقبات وكافة المفاهيم وبقايا النظرات المتخلفة ، ولكن شرط ان تضبط تلك العملية التحولية بالبرنامج التحولي اليساري ، وعلى اساس العلاقات التنظيمية « اللينينية » .

والذي تابع مراحل التطور اليساري داخل الجبهة لا يمكنه الا ان يكون مع الراي القائل انها قطعت اشواطا على ذلك الطريق وانها تجاوزت الكثير من العقبات ، وفي ظل ظروف متشابكة ومعقدة .. القمع والتصفية الفاشية للمقاومة .. سياسات المهادنة والاستسلام العربية .. سياسات الضغوط والتطويق والحصار العربية ايضا.. السياسات اليمينية الاصلاحية المترددة والخاضعة للتطويق والحصار العربي داخل حركة المقاومة .. وكذلك ايضا نزعات التحجر المشدودة الى مواقعها القديمة وذات الطابع اليميني من جهة ، والنزعات اليسارية العاطفية الانشقاقية داخل صفوف الجبهة ذاتها . ان ما يجعل الجبهة الشعبية طليعة يسارية في حركة التحرر الوطني الفلسطيني هو انها قد صهرت بوجه كل تلك الظروف القاسية، وخاصة بعد ان تعرضت حركة الثورة العربية خلال الفترة الاخيرة – وبضمنه ما تعرضت له المقاومة والجبهة ايضا – لحالة انحسار ومحاصرة حادة .. حيث تتشجع في ظروف النكسات والانكسارات والهزائم، التي تمنى بها الحركات الثورية، الميول التراجعية والانهزامية، وتحدث حتى الانعطافات الفكرية كما جرى للاخرين .

ولكن الحركة السياسية المتسلحة بالوعي النظري والتنظيمي الثوري تعرف كيف تتصدى لتلك الظروف الخارجية والداخلية ، وتخرج منها منتصرة الارادة .

وبعد كل هذا يا صديقي الم يكن انعقاد مؤتمر الجبهة سلاحا ماضيا لتعزيز وتقوية وتنمية الالتزام اليساري الثوري في الجبهة ؟. يبدو لي ان المسالة ، مسالة اشخاص وحسب .. وبالطبع فاني، منطلقا من حرصي على سلامة وحدة الجبهة ونموها وتقدمها، اعتقد ان البرنامج التنظيمي الداخلي المستند الى الاسس اللينينية – اي البرنامج الذي ينظم ويحدد شكل وطبيعة العلاقات داخل الجبهة – الذي يحطم جذور البيروقراطية والاستعلاء والتسيب وميوعة الانضباط الثوري وينقل صيغة العلاقة بالجماهير من الاستاذية الفوقية الى ميدان النضال الحيوي اليومي في صفوف الجماهير – اعتقد ان مثل هذا البرنامج هو القادر وحده وليس الانشقاقات والتشجنات العاطفية ولا الاتهامات والمهاترات – على اسقاط كل من يتعارض مع عملية التحول اليساري الثوري للجبهة وبالاستناد الى برنامج العلاقات التنظيمية المذكور وعلى تقوية وتنمية التفاف من ينسجم معه وينضبط به . بهذا تتاكد وتتعزز هوية التحول اليساري داخل الجبهة . ان مجرد ملاحظات عن فلان او فلان من الاشخاص لا يكفي حتى لتشكيل انطباع او موقف جازم حول هويته بقدر ما ان تلك المسالة تتاكد على الدوام من خلال الممارسة والمحك العملي ازاء البرنامج المطلوب الالتزام به .

لا احد يسمح لنفسه ممن يعتبر نفسه ثوريا ويساريا في عالمنا ان يشكك في طبيعة المواقف والسياسات اليسارية والثورية للجبهة الشعبية وعلى انها مثلت باستمرار طليعة متقدمة لحركة المقاومة وللثورة الفلسطينية ، والمجموعة التي رايتك – ويا اشد اسفي – احد الواقفين معها هي التي تجرات على مغالطة الحقيقة ، سامحة لنفسها تكرير ذات الدور الذي لعبه (اليساريون الاسبقون) في التشبث بمهونات وتواقيع وتأييدات فلان وفلان من الذين يهمهم – وكيف لا يهمهم – ان تتعرض الطليعة التقدمية للضربات من الداخل وان تنشغل بمعالجة ذلك !

ان املي ما زال عظيما في ان ادراك وقد حطمت تلك الحواجز التي تفصلك عن الحقيقة .. وتنتزع تاريخك من عالم الانشقاق الزائف ونعود حيث انت .. وحيث يجب ان يكون المناضل اليساري الثوري الذي تجاوز كل العقبات وقاتل بوجه القمع والارهاب الفاشي وحمل سلاحه الاممي البروليتاري ليتطوع في صفوف الحركة الثورية للشعب الفلسطيني .

يا صديقي .. من المعلوم ايضا ان من الصعب على جماعة الشباب اليساري النزعة المنشقة ، ان تسمح لنفسها برؤية شمس الحقيقة ، لاننا تعلمنا ان من اسوا وابرز عادات وطباع الاشخاص ذوي الانحدار والتربية البرجوازيين الصغيرين هو العناد الاعمى والتشبث بكل شيء – حتى احيانا بالمهادنات والمساومات « التكتيكية !!! » – في سبيل مواصلة محاولة اثبات (وجودهم). ان هذه العقدة النفسية كما ذكرت متطورة بصورة معقدة عن الوضع الايديولوجي والطبقي لمثل اولئك الاشخاص – واعذرني – وهذا فيه بعض الاهمية ان يقال الان ، ان نتطرق في كلامنا بصورة عرضية الى مسالة الاشخاص ، وانا لا اخفي عليك وربما تعرف ذلك ايضا ان اخرين من الاصدقاء ربما اوهم في صفوف – جماعة المنشقين – اني في الحقيقة لم اجد من الناحية المسلكية الثورية ثمة فرق او خلاف جوهري وملموس بين فلان من الذين رفعوا (راية اليسار) والذي اعرفه حق المعرفة ، وفلان من الذين يتهمون « باليمين » . فالتربية السابقة واحدة .. والخضوع لعملية التطوير والبناء الاخلاقي الثوري الجديدة واحدة ايضا ، رغم اختلافات معينة في التهيؤات والاستعدادات الذاتية ، ولم ان برنامجا عمليا كما ورد سابقا والذي له الحق وحده في ان يبلور ويفرز ويحدد لم يتدخل حتى الان في تركيبة هذا وادانة ذاك .. فكيف تهيأ لفلان الذي اعرف جيدا انه لو وضع حقا على محك التربية البرنامجية الثورية – واعذرني لهذا الاستنتاج المسبق ، فهو مبني على ادلة كثيرة لا داعي لذكرها – لكان بعيدا عن الجبهة ليس باتجاه اليسار طبعا ، اقول كيف تهيأ له ان يرفع راية اليسار ، وراية ادانة الجبهة ووصمها باليمين؟

وفلان اخر من الذين يقفون اليوم على راس الانشقاق الحالي لا اذكر فيه – وهذا شيء مؤسف – ما يذكرني بانه نواة الخلق الثوري اليساري – اللهم اني لا اتجرا باتهامه بقصر اللسان اليساري وكثرة قراءة الادب اليساري – الاستعلاء والاستاذية والمسلكية التنظيمية التي كما ذكرنا سابقا يجب ان يحطم جذورها برنامج التحول – ان فلانا ذاك ومن معه اليوم اذ يتجرؤون على اتهام الجبهة وامينها العام بالعمل لاقامة تحالفات مع النظام السوري ، يغضون الطرف عن ذلك التملق المخجل لنظام حافظ الاسد في الصحيفة التي يعتبرون هم المسؤولون المباشرون عن اصدارها ، والتي لاقت ادانة تنظيماتهم وقتذاك ..!

ومن الواضح ايضا ان المجموعة المنشقة (ستواصل) انشقاقها ولكن الى اي مستوى ستنتهي بها هذه المهاترات ، وكيف ستتحدد ملامح التزامها اليساري اذا كانت تجد في حملة « راية اليسار الاسبقين » والذين لطخوا (يساريتهم) بالوحل ، وعلى ذات المستوى تجد في حملة « راية اليمين الطبقي الفلسطيني » عونا لها وموقعا على بياناتها ضد الجبهة ... الايام هي التي ستثبت الى اي مستوى ستصل مجموعة هذه بداياتها « اليسارية » ؟

ولكن .. والكلام موجه الان الى الجبهة ، انه من الضروري كثيرا، وقد حدث الكثير من التهويل والتشويش من جانب المجموعة المنشقة ان تتزود الفرصة لان يريد تصحيح خطئه والعودة الى موقعه النضالي الحقيقي وانه لكي تفوت فرصة جر الجبهة الى صراع ثانوي ينطوي على الكثير من المهاترات والمقاذفات ، ان تبقى الجبهة موقفها من الجماعة المنشقة في حدود الصراع الايديولوجي المبدئي . ان في ذلك ادانة لا حد لها لسلوك المنشقين وحقيقة يساريتهم .

وختاما يا صديقي .. وانت تعرف اني احدد رايي هذا ليس كعضو في الجبهة الشعبية – لاني لست كذلك – وانما لان الانسان الذي تربطه اواصر علاقة ايديولوجية وسياسية بالناس الاخرين اينما كانوا ومهما فصلت بينهم المسافات من واجبه ومن حقه في آن واحد ان يكون له راي ، وكما ترى فنحن الان مختلفان في الراي ، من هذه المسالة الحساسة ، واني كما ذكرت لكي املا ان يثمر النقاش المتواصل بيننا الى توحيد موقفنا من هذه المسالة ، وعلى الاساس المبدئي والذي يكون باعتقادي في ادانة العمل الانشقاقي واعتباره سلوكا تخريبيا وجه طعنة الى سمعة ووحدة الجبهة ، ومثل من الناحية الموضوعية خدمة للاعداء الوطنيين والطبقيين ، وانت رايت كيف استقبلت الصحافة والاوساط الرجعية واليمينية العربية والعالمية ايضا هذا النبأ بمنتهى الاغتباط والتهويل ، وكيف لا وقد خرج من صفوف الجبهة من يتجرأ على الكذب والاتهام اللامسؤول . وكيف لا وقد تبرع من يقول ان الجبهة خططت كذا .. وانفقت مع كذا .. وفيها كذا وكذا .. الخ من تلك التشويهات والاكاذيب الفجة .

وانت تعرف ايضا يا صديقي ان المبادىء واحترامها بالنسبة لنا نحن فوق كل اعتبار اخر .. وهذا ما سيجعلني اختلف مع كل الناس .. اقرب الناس لي .. الذين تصل علاقاتي معهم الى نقطة الاختلاف المبدئي .

عاشت وحدة الجبهة الشعبية طليعة حركة المقاومة الفلسطينية على اساس نهجها وبرنامجها اليساري الثوري .

عاشت وحدة الحركة التقدمية والثورية العربية ضد الامبريالية واسرائيل والرجعية والبرجوازية العميلة والفاشية .

ولترتفع عاليا رايات النضال الثوري ولتنتصر ارادة الطبقة العاملة .

« صديق »